# ظاهرة التعليل في شعر الإمام الشافعي (٢٠٤ه)- رحمه الله- دراسة نحوية

م. انتصار عبد الامير جبار الخالدي
وزارة التربية - مديرية تربية القادسية
ff74897@gmail.com

# The phenomenon of reasoning in the poetry of Imam Al-Shafi'i (204 AH) - may God have mercy on him - a grammatical study

**Entesar Abdal Ameer Jbbar Alkaldy**
**Ministry of Education - Directorate of Education**
**Qadisiyah**

**الملخّص:**

يهدف البحث إلى الكشف عن العلل بالأساليب النحوية في الشعر والاستدلال عليها بالطرائق التي أعتمدها النحاة، فجاء بحثنا بعنوان ((ظاهرة التعليل في شعر الإمام الشافعي(٢٠٤ه)- رحمه الله – دراسة نحوية)), وكان قائماً على محورين تسبقهما مقدمة وتعقبهما خاتمة. تناول المحور الأول التعريف بالعلة ، أما المحور الثاني فكان تطبيقاً على أقوال الإمام محمد علي الشافعي رحمه الله .

**الكلمات المفتاحية:** العلة ، الحجاج ، المفعول لأجله ، الشعر ، الإمام الشافعي، العلة بالحروف .

**Abstract:**

The research aims to reveal the ills by the grammatical methods in the poetry and infer them by the methods adopted by the grammarians. The first axis dealt with the definition of the cause, while the second axis was applied to the sayings of the Imam, may God have mercy on him.

**Keywords:** the phenomenon of reasoning, reasoning by letters, object for it, poetry, al-Emam Al Shafi, Vowel in letters.

## المقدمة :

**الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين محمد وآله الطيبين**

**إما بعد:**

كانت وسائل النحاة في إدراك أسرار التراكيب النحوية في الكلام تتلخص باستقراء المأثور من كلام العرب بما في ذلك الشعر، وتحليله واستخلاص القوانين والأنظمة النحوية منه، التي تؤدي إلى فهم الكلام وبيان مقاصده والاستدلال به في دراسة تراكيبه وتأليفه على اشكال أو أنماط خاصة على وفق ما يقتضيه المعنى المراد الإفصاح عنه, فقد يصدر الحكم اللغوي ، ومن ثم تسويغه بمستوياته الصوتية والنحوية والصرفية ، فإنّ كل الأحكام اللغوية أو النحوية تعلل ، وإنّ كلَّ الظواهر اللغوية أو النحوية الكلية أو الجزئية لابد لها من علة عقلية لإيضاح عله العبارة أو البيت الشعري ، فنجد النحاة تناولوا الشعر بعد القرآن الكريم في شواهدهم لاستنباط الأحكام النحوية وبيان خصائصه التعبيرية والاسلوبية ، وإن وجود التعليل في الشعر يمثل جانباً إبداعياً وفنياً ويقتصر على مجموعة من الشعراء المبدعين ومنهم الإمام الشافعي بغزارة علمه وثراء حِكَمه وما يحمل في ثنايا شعره من التعليل الذي يستحق الدراسة .

فالإمام الشافعي (رحمه الله) هو أحد الأئمة الأربعة لأهل السنة ، وإنماز بالعلم والمعرفة والفصاحة وتذوقه للشعر لاسيما قصائده التي تتمحور بالقيم والحِكم والمبادئ السامية, التي أصبحت محل اهتمام وتمحيص لغايات دينية وأغراض أدبية ولغوية بجميع مستوياتها (الصوتية

والصرفية والنحوية) ، بما تحمله من جوانب تربوية رائدة وابداعاته الفكرية الرصينة ، ورؤيته لواقع المجتمع المتمثلة بالنصح والتوجيه من خلال أبياته الشعرية ، فهو عَلَم من أعلام الأمة الإسلامية بفلسفتهِ وتأليفهِ وموسوعتهِ الفقهيةِ وفكره اللغوي والتربوي وآرائه المضيئة وسط دياجي الظلام ، وقوته في إلقاء الحجج باستنباط الأحكام, وتمييز بعطائه العظيم على صعيد الفكر الإسلامي بمختلف علومه وقضاياه ومواقفه المهمة، فكان دربه حافلاً بالعطاء والبذل والتضحية من أجل الدين الإسلامي والعلم وتعلمه.

وقد تضمن البحث محورين، تناول المحور الأول تعريف العلة لغةً واصطلاحاً، والمحور الثاني كان تطبيقاً على شعر الإمام الشافعي رحمه الله عن طريق العلة بالأسماء والحروف وأساليب أخرى، أما المنهج المتبع في هذا البحث فهو منهج وصفي تحليلي، فدراسة التعليل في شعر الإمام الشافعي (رحمه الله) يحتم القيام بهِ على الوصف والتحليل.

## ❖ المحور الأول: تعريف التعليل :.

### أولاً: التعليل لغة :.

التعليل في اللغة هو: مصدر للفعل (علّل) ، ومصدره (التعليل)، وجذره (علّ) ، واشتقت منه (العلة) وغيرها من الكلمات الدالة على معانٍ عدة منها المرض والسبب والحدث[١]، وتتمحور في ثلاثة منها، فـ((العين واللام أُصول ثلاثة صحيحة: أحدهما تكرُّر أو تكْريرٌ والآخر عائق يعوق والثالث ضعف في الشيء))[٢] .

قالوا عته : هو (( سقيّ بعد سقي ، وجنيُ الثمر مرة بعد أخرى ، وهذا علة لهذا، أي: سبب له ، وهذه علته، أي: سببه ))[٣] . أي عمّا يَقدم لأجله على الفعل أو يمتنع عن ذلك الفعل ، فيقال: فعل ذلك الفعل لهذه لعلة أو لم يفعل ذلك الفعل لتلك العلة .

### ثانياً : التعليل اصطلاحاً :.

**عرفه الشريف الجرجاني**(ت٨١٦هـ): ((هو تقرير ثبوت المؤثر لإثبات الأثر))[٤]، أي إنّ المتكلم يريد ((ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدّم قبل ذكره علّة وقوعه ، لكون رتبة العلّة متقدمة على المعلول))[٥]، وبألفاظ نحوية كالمفعول لأجله أو بحروف العلل كـ(اللام ، الباء، الفاء، كي، حتى، من، إلى، عن، في، الكاف، إنَّ، لعل، على) و غيرها من الألفاظ والأساليب، فهي مجموعة أدوات لغوية يستعملها المخاطب الحجاجي لإثبات حججه ، فاستعمالها في الكلام لتعليل سؤال ملفوظ أو يأتي مفترض من قبل المتلقي[٦] .

فكل الأفعال التي حدثت لابد من تعليلها لأن حدوثها يثير تساؤلات في الأنفس: لِم حدث هذا؟ فيقال: لكذا، فتكمن فائدة التعليل بتأكيد صحة الخبر وزيادة الاطمئنان مع راحة للنفس الإنسانية الباحثة عن علل الأشياء. وحظيت ظاهرة التعليل بعناية النحاة، وألفوا فيها الكثير من الكتب لاكتشافها وبناء القواعد النحوية عليها، وأبدى الزجاجي(ت٣٣٧ه)، رأيه في دراساتهم عن التعليل بقوله: (( إنّ علل النحويين ليست موجبة وإنما هي مستنبطة أوضاعاً ومقاييس كالعلل الموجبة للأشياء المعلولة بها))[٧]، وجعلوها على ثلاثة أضرب وهي: العلة التعليمية و القياسية و الجدلية

النظرية[٨]، وتأتي العله مرافقة للأحكام اللغوية دون التصريح بها مباشرة أو عن طريق تراكيب وحروف تشكل سمات أسلوبية عند النحاة في كتبهم ، فهم يجعلون العلة أمارة على المعلول .

## ❖ المحور الثانيً: التعليل في كلام الإمام الشافعي :.

جاء التعليل بمجموعةٍ من الألفاظ التي استعملها الشافعي (رحمه الله) لبناء حججه ومنها :

**أولاً : التعليل بالأسماء:**

**المفعول لأجلهِ :**

المفعول لأجله أو المفعول له هو مصطلح نحوي ذكره سيبويه ( ت١٨٠ه) في كتابهِ باسم ( باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر) ، بقولهِ: ((فانتصب لأنه موقوع له , ولأنه تفسير لما قبله لم كان ؟ وليس بصفة لما قبله ولا منه ))[٩]، فهو (( المصدر، المفهوم علة، المشارك لعامله : في الوقت والفاعل))[١٠]، وهو مصدر قلبي ، ويكمن استعماله لبيان علة ما قبله.

وقد تناول الإمام الشافعي المفعول لأجله بصيغتهِ الصريحة في شعره بما استلزمته طبيعة الموضوع بقوله : **((تموتُ الأُسْدُ في الغاباتِ جُوعاً ولَحمُ الضّأنِ تأكلُه الكلابُ))**[١١] ، فجاء استعمال المفعول لأجله (جوعاً) لبيان سبب موت الأسود، فيختبر الله في هذه الدنيا الصالحين ويبتليهم (( بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ... كم فيها من مفارقات جاع فيها الأنبياء كرامةً وشبعت فيها بطون البهائم ! الأسود وهي ملوك الغابة تموت جوعاً ، بينما الكلاب تنعم بما لذ وطاب من لحوم الضأن))[١٢] ، هذه أفعال الدنيا في إعلاء الأسافل وتسفيل الأعالي، فهذا لا يعني إن كل من ارتفع شأنه بالدنيا هو من السفلاء وليس كل من أتضع هو من الرفعاء . يُبين الإمام الشافعي (رحمه الله) أن الدنيا تعطي من لا يستحق الرفعة والعطاء، بينما تحرم من يستحق العلو، بل تجور عليه وتتنكر له. هذه الصورة الجميلة التي رسمها الإمام (رحمه الله) في هذا البيت غاية في البلاغة التي تعبر عن رفضه للتعسف والظلم في المجتمع الذي صار فيه قلب الحقائق عادة متبعة، وتقلب المفاهيم والمعايير لدى الناس سُنة واردة. ففي هذه المقابلة بين الأسود والكلاب والجوع والأكل دلالة على أنه لا ينظر لها على أساسها اللفظي ، بل يمنح المعني أهمية كبيرة, فضلاً عما تثيره تلك المقابلات من إثارة واستنطاق للذهن الإنساني تجعله يصل للمغزى المكنون وراء هذا البيت ، فإن إدراك القصد والغاية التعليلية من هذا البيت الشعري يتبدى بأشكال من الإداء الأسلوبي الذي يُستثمر بوصفه وسيلة إبداع المعنى ورافداً من روافد الإدراك البشري للدلالات والمعاني .

وود في قوله: **(( وجعلتُ معتمدي عليك توكلاً وبسطتُ كفي سائلاً أتضرعُ))**[١٣] ، علل الإمام الشافعي رحمه الله اعتماده على الله تعالى بالمفعول لأجلهِ (توكلاً) فقد تحقق المعنى الحقيقي للتوكل ، أي: يكون اعتماده على الله عزّ وجلّ من أجل أن يحقق المعنى الحقيقي للتوكل، وجعل التوكل علة للفعل ، ولم يختر الإمام لفظة أخرى غير (توكلاً) ؛ لأن لفظة التوكل تشير إلى لأخذ بالأسباب ، فالتوكل لا يأتي إلاّ بعد عمل وجهد فيما يرنوا إليه ، ولو استعمل لفظة للعلة غير (توكلاً)

لظن المقابل أن الإمام الشافعي أكتفى ولم يأخذ بالأسباب ، فالتوكل على الله هو الاعتماد القلبي على الله عزّ وجلّ في استجلاب المصلحةِ ودفع الضرر، أي: تفويض الأمر لله ، والاستعانة به في كل الأمور، وربط جميع الأشياء بمشيئته ، هو صفة نابعة من قوة الإيمان والاستسلام والثقة واليقين بالله تعالى والانقياد لحكمه والاعتراف بأن لاحول ولا قوة إلا بالله ، لأن التوكل مناط بمعرفة الله وعظيم صفاته من قدرته وكفايته وقيّوميته، وانتهاء جميع الأمور إليه وصدورها بمشيئته ، فهو القائل في محكم كتابه: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ {الأحزاب:٣}، مع الاقتران بالحركة والسعي في مبادئ الأحوال وسائر الآمور، ولا يتحقق التوكل بدون العمل ، فمن أراد تحقيق غاياته لابد من بذل الجهد متوكلاً على الله جل علاه ، وترك العمل هو (تواكل) وهو مذموم .

وجاء في قوله : **(( وإنْ تعففتَ عن أموالهم كرماً قالوا: غنيٌ وإنْ سألتهم بخلوا ))**[١٤] , علل الشافعي رحمه الله بالمفعول لأجله (كرماً) في ذكر صفات بعض الناس الذين لا شغل لهم غير الحط من شأن الآخرين والتطاول عليهم وهم في الوقت نفسه يتصفون بالبخل الذي يدعو لخصال ذميمة ونقائض كثيرة بعيدة عن الإيمان الحقيقي، مع أنهم يمتلكون العقول التي تمنحهم الإدراك الواعي والسلامة الفكرية، ولهم قلوبٌ تعطيهم القوة الوجدانية والأخلاق الفاضلة، إلا أن هذه الأفعال لا تصدر إلا من الذين فقدوا بصيرتهم التي هي نور عقولهم وقلوبهم. فالإمام يكشف عن صفات هؤلاء الأشخاص والمتغيرات التي تطرأ على شخصياتهم من الجانب العقلي، فنجدهم بدلاً من السعي لمرضاة الله وتحسين صفاتهم وأسلوبهم مع الناس يعتمدون أذى الناس بألسنتهم ، فضلاً عن معصيتهم لله ، فعلل الشافعي رحمه الله عله تعففه عن أموال هؤلاء الناس بـ(كرماً) لأنه أعرف بهم وبصفاتهم ، وكونه أعرف بالدين الإسلامي وما جاء يه القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ ضَرۡبٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ لَا يَسۡـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلۡحَافٗاۗ﴾{البقرة:٢٧٣} ، فالإمام الشافعي أحد هؤلاء الفقراء المتعففون الذين يحسبهم الجاهلون أغنياء لتعففهم .

**ثانياً: التعليل بالحروف :**

**١- حرف اللام :**

لعلّها أكثر الأدوات اللغوية المستعملة في التعليل، ويكمن تعليليها في أنّها تأتي لتعليل الفعل، سواء أكانت لام التعليل، أم اللّام الجارة ، أو لام كي الناصبة[١٥]، وأطلق عليها النحاة تسميات عدة منها: لام كي[١٦]، لام التعليل[١٧]، لام السبب[١٨]، لام العذر[١٩]، ولام الجحود[٢٠].وقد وردت اللام في مواضع من شعر الإمام الشافعي (رحمه الله) بقوله:

**(( إني أُحَيّ عَدُوّي عِندَ رُؤيته لأدْفَعَ الشَرّ عني بالتَّحِيّاتِ ))**[٢١] ، في هذا لبيت الشعري جاء التعليل بـاللام في (لأدفع) التي نصبت الفعل المضارع بمعنى (كي) أي: ( كي أدفع الشر عني بالتحياتِ) ، ليعلل الإمام سبب تحيته لعدوه ، فهو سلوك إنساني نابع من مقاصد أخلاقية ضابطة لذلك السلوك ، تميزه كإنسان ذي علم لأن ((العلم بداية العمل ، والعمل تمام العلم))[٢٢]، فهو قادر

على دفع الشر بأساليب أخرى عدوانية خارجة عن المبادئ الأخلاقية وبعيدة عن القيم الدينية إلا أنه فضل أسلوب رُقي الأخلاق ، فدفع الشر بالتحية على عدوه هي طريقة عقلانية رفيعة المستوى مستوحاة من التعاليم الدينية السمحاء ، والقيم الأخلاقية التي تُعد شرطاً أساسياً في الدين الإسلامي واستحالة فصلها عنه ؛ كونه الموجه الأساس والعامل الفعال في توجيه الأنشطة المختلفة للإنسان وتقويمها ، إلا أن هذه العلاقة بين الأخلاق والدين لا يأخذها الإنسان إلا بقناعته لتقييم أفعاله بعدالة دون ظلمٍ وإذا فُقد هذا التقييم نتج عنه شعور الإنسان بالتردد بين الشر والخير ، والإساءة والإحسان ، والظلم والعدل . وقدم كلمة (الشر) على (عني) لتخصيص الشر لأهمية هذا العمل، فنلحظ أَن الإمام الشافعي (رحمه الله) بنى لنفسه منظومة أخلاقية ورياضة روحية بإقامته نوع من أنواع السلم بينه وبين عدوه مما أدى إلى إحداث تغيّرٍ بإبعاد الشر عنه والشعور باطمئنان النفس، ورغبته في تحقيق السلام الحقيقي ودفع العداء والتعايش مع الآخرين المخالفين .

وجاء في قوله رحمه الله: **(( إنّي اطّلعتُ فلم أجدْ لي صاحباً أصحبه في الدهر ولا في غيره**
**فتركتُ أسفلهُم لكثرةِ شرِّهِ وتركتُ أعلاُهم لِقلةِ خيرِهِ ))**[٢٣]

استعمل الإمام (رحمه الله) تعليلين وهما : (لكثرة) و (لقلة) بلام التعليل لما يقتضيه السياق من المقابلة بـ(أسفلهم) و(أعلاهم) التي يتضح من تقابلها المتكامل إعطاء صورة كلية بتقنية بيانية تصور حال الإمام الشافعي في موقفه من الأصحاب عندما لا يجد الصاحب الحقيقي والسند في ملمات الدهر، فهي دعوة للتزكية بترك مثل هكذا أصحاب التي عبر عنها برسم صورة تقوم على ترتيب المتناقضات ليخرج البيت الشعري بهذه الصورة الحيوية، وجمال الواقع المعنوي لصيغ التقابل (أسفلهم- أعلاهم) و (كثرة – قلة) تقابلاً منتظماً مرتباً للبنى الصغرى بحيث يكون الطرف الأول من التقابل يتبعه السياق الأول، ثم الطرف الثاني يتبعه السياق الثاني ، فإذا تأملنا نسق البيت الشعري نلحظ أن السياق الأول يبيّن حال أسفل الصحابة وهم الأكثر شراً ، مقابل حال أعلى الصحابة وهم الأقل خيراً ، مبنياً على حوارٍ متماسكٍ من حيث الترابط والترتيب ، إذ عطف عجز البيت على صدره على سبيل المقابلة مبيناً حال الأنسان عند اكتشافه حال أصحابه وترك الصنفين، فهو يعمل على إثارة الأذهان والعقول وتفعيل التفكير ؛ كونه كاشفاً للحقائق وموسعاً للمدارك ومحرراً للدلالات لفهم فيوضاتها القصدية. ((يبدو أن الشافعي كان نسيج وحْده خلقاً وعلماً وأنه كان يعاني الغربة في زمانه ، ويفتقد المودة الصادقة ... لقد أطلع على أحوال الناس فلم يجد له صاحباً يصحبه, فترك أسفلهم لكثرة شره ، وأعلاهم لقلة خيرة ))[٢٤] ، وذكر الشافعي هذا البيت لعلة الحدث لظن الناس بأنه تركهم تعالياً.

وورد في قوله( رحمه الله) : **(( وأظْهرُ أسبابَ الغنى بينَ رِفقَتي ليَخفَاهُمُ حَالِي وإنّي لُمعدمُ))**[٢٥]، جاءت لام التعليل المقترنة بالفعل المضارع ( ليخفاهم) لتعليل سبب إظهار الغنى بين رفاقه مع أنه مُعدم ؛ لأن إظهار الفقر بين الرفاق قد يقلل من شأن الشخص, وهذا مالا يتناسب مع أصحاب الكرامة، فهي تولد بالفطرة مع الفرد وتتنامى عند من لديه عزة النفس، الذي لا يحب الشعور بالإذلال والدونية كي يعيش معززاً مرفوع الرأس ، فهو يظهر أسباب الغنى للحفاظ على

هيبته ومنزلته الاجتماعية بين رفاقه و يستخفي فقره ويشكو لله فاقته, فانتهاك الكرامة الإنسانية يعتمد بشكل كبير على القواعد العامة التي تنظم سلوك المجتمع ، وإحدى هذه السلوكيات التي تهدم الكرامة هو الحكم على المظهر الخارجي للإنسان وتقيمه من المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد، فتعليل الشافعي لإخفاء واقعه الحقيقي الذي يعيشه وهو الفقر والفاقة مع عدم كشف حقيقته للرفقة وادعائه الغنى والتظاهر به لصونه كرامته وحفاظاً على عزة نفسه، فاستعماله للفعل (أظهر) نقل معنى البيت الشعري من الغنى المؤكد إلى معنى التكلف في إدعاء الغنى وإظهار أسبابه .

وقال رحمه الله : **(( أُهينُ لَهُم نَفسي لأكرمَها بهم ولن يكرِمَ النفس الذي لا يهينها))**[٢٦] ، وردت لام التعليل مع الفعل المضارع (لأكرمها بهم) معللة سبب إهانة النفس، فهي إهانة من نوعٍ خاص ولأشخاص معينين، فهو يشير بضمير الغائب إلى طلاب العلم الذين يُدرّسهم في حلقاته العلمية عندما كان يملي عليهم الدرس في المسجد, فوصلته الشمس، فمرّ به أحد إخوانه فقال له : يا أبا عبد الله أفي الشمس؟ ويقصد أتملي على طلابك بالشمس؟ فقال الشافعي هذا البيت[٢٧]. فقدّم الجار والمجرور (لهم ) على (نفسي) للاختصاص ، أي إنه قد أخص طلابه فقط بإهانة نفسه دون غيرهم من الناس، فهي ليست إهانة إنما هي قمة الأخلاق والتواضع من قبل الإمام الشافعي وحبه لطلابه ، ومما زاد في تواضعه بقوله: (لأكرمها بهم) أي يكرم نفسه بإهانتها لطلابه وتحمله تقلب المناخ من حرارة الشمس وغيرها من ظروف الطقس، فقد علل حدث إكرام نفسه بإهانتها، أيُّ تواضع وأيُّ أخلاق تلك التي يحملها الإمام رحمه الله .

وجاء في قوله: **((وليس اكتساب العلم يا نفسُ فاعلمي بميراث آباءٍ كرامٍ ولا صهر**
**ولكن فتى الفتيان مَنْ راح واغتدى ليطلبَ علماً بالتجلّدِ والصبرِ))**[٢٨]

تناول الشافعي رحمه الله في هذين البيتين طلب العلم ، فهو يخاطب نفسه ليروضها على الصبر في طلب العلم، فجاء بلام التعليل مع الفعل المضارع (يطلب) ليعلل رواح الفتى وغربته والمكابدة وبذل الجهد ليطلب العلم بما قاساه من شدائد الأمور وبلوغ النفس غايتها من الجد والاجتهاد والصبر على التعلم , فطلب العلم من أفضل العبادات التي تقرب الفرد لله تعالى، فهو يوجه كلامه للمتلقين لأثارة أنتباههم وحثهم على طلب العلم, فاللام هنا جاءت بمعني (كي)، أي: كي يطلب العلم ، أو لأجل طلب العلم . فهي تأتي بمعنى الغرض ، فيكون ((ما قبلها من الفعل علة لوجود الفعل بعدها))[٢٩]. ففي هذا التعليل أراد الشافعي رحمه الله تنبيه السامع على أمرين, الأول : إن العلم لا يأتي بسهولة ولابد من السعي الحثيث للوصول إليه ، والثاني: الحث على طلب العلم لأنه يعلو من شأن صاحبه في الدنيا والآخرة ولاسيما إذا كان العلم هذا طلب لمرضاة الله عزّ وجلّ.

٢- **(من):** استثمر الإمام رحمه الله الحرف (من) للتعليل بقولهِ:
**(( يقـيم إذا مـا اللّيـلُ مَـدّ ظَـلامُـهُ على نَفسهِ منْ شِدّة الخوفِ مأتما**

**وكُنْ بين هاتين من الخوفِ والرجا وأبشرْ بعفو اللهِ إنْ كُنتَ مُسلِما ))**[٣٠]

إنساق التعليل في البيت الشعري الأول بحرف الجر (من) الذي أعطى معني السببية ليعلل سبب إقامة الشافعي رحمه الله في الليل المظلم في مكان واحد بلا حراك من شدة الهلع والخوف الذي أحسه في ذلك الوقت، فسكب انفعالاته النفسية ليصرح عن تجاربه الحياتية بصيغ منسجمة وما يترتب عليه من توافق صوتي وتركيبي يتناسب ومضمون البيت . وجاء التعليل الثاني لبيان سبب الاطمئنان بقلب الإمام بتأمله بعفو الله من خوفه تارة ، ومن الرجاء به تارة أخرى ، فهو يعبر عن إيمانه وثقته بكرم الله ، وتيقنه من اعتقاده ، وساعد بناء امتزاج حرف العلة ( من) مع تراكيب البيت على إبراز ما يكنه الإمام رحمه الله من الخوف والرجاء ، فقد بَيّنَ شدة خوفه من الباري جل جلاله ، ثم يرجع متداركاً نفسه ومؤكداً تصديقه لوعد الله بالعفو .

وجاء في قوله : **(( مَرِض الحبيبُ فعدتُه فمرضتُ من حَذَري عليه ))**[٣١] ، أورد الإمام الشافعي رحمه الله في جملة ( فمرضت من حذري عليه) فيها تعليلان : الأول هو مرض الإمام ، والثاني علة مرضه ؛ المتمثلة بالجار والمجرور ( من حذري عليه) ، فأوضح الإمام علة مرضهِ دلالة على اهتمامه بصديقه أكثر من اهتمامه بالمرض نفسه، وأن هذا الاهتمام يرجع سببه إلى العلة التي كشفها الإمام والمعبرة عن مشاعره الحقيقية الصادقة ، وشدة حبه لصاحبه، إلى حدٍ جعل حذرهُ وخوفهُ عليه هو السبب في إصابة الشافعي بالمرض, فهو يريد في هذا البيت أن يرسم للناس صورة من صور التراكيب النحوية الدالة على الحب النقيّ الحقيقي الصادق البعيد عن المصلحة الشخصية، فهذه التراكيب النحوية التي رتبها الإمام في بيته الشعري هذا أعطى معنى للنص يختلف عمّا لو قال: (مرض الحبيب فمرضت ) لدّل التركيب على أن مرضه أتى بعد مرض الحبيب مباشرة ، ولا يشترط بكون مرض صديقه عله لمرضه، لكن السياق في تراكيبه النحوية الذي جاء به الشافعي رحمه الله هو أبلغ في بيان المعنى في عله مرضه بسبب مرض صاحبه.

٣- **حرف الباء** : ورد حرف الباء بقوله:

**(( خَبَتْ نارُ نفسي باشْتِعَالِ مَفارقي وأَظْلَمَ ليلي إذ أضاءَ شِهابُها))**[٣٢] ،وظّف الإمام رحمه الله حرف الباء ليعلل سبب حزنه وألمه الواضح لإدراكه الشيب ، والآثار المترتبة جراء هذا الحدث ؛ إذ أنطفأ وهج الحماسة في روحه وهمة الشباب ، واعتلته الحسرة المرافقة له . فانبرى الشافعي بوصف التحول الذي أصابه وما طرأ على حياته ولا سيما على شكله ، فهو يشكو آلامه ومواجعه باستعماله أحد الحروف المجهورة وهو الباء لما فيه من قوة في التعبير عمّا يحسه الإمام من الحسرة والألم ، فقد أظهر هذا الحرف دلالات الثقل بسبب نوازل الأيام وحوادثها وملائمته لغاية الشافعي رحمه الله بما يشعر به من انفعالات نفسية تنتابه وهو يصور لنا زوال الدنيا وفنائها دلالة فقدان الشباب وعنفوانه للوصول إلى أرذل العمر وصولاً للموت المحقق.

٤- **(على) :** جاء الإمام رحمه الله بالحرف (على) بقوله:

**(( ومن الدَّليل على القضاء وحُكمِهِ بؤسُ اللّبيبِ , وطيبِ عَيشِ الأحمقِ))**[٣٣] ، أفاد حرف الجر(على) في هذا البيت معنى التعليل ، إذ استعمله الشافعي رحمه الله ليعلل وجود الأشياء والعطاء هي حظوظ وأقدار تُمنح للأحمق الرفعة والعيشة الكريمة بالرغم من بلاهته، وبالمقابل تُمنح للّبيب البؤس وضنك العيش والشقاء ، وتمنع عنه لذيذ العيش ورونق الحياة ، ففي هذه الدنيا تلعب الأقدار والقضاء لعبتهما. وجاء تقديم الخبر (من الدليل على القضاء) وتأخير المبتدأ ( بُؤس اللّبيب ) لإبراز المعنى المراد, وهو لفت انتباه المتلقي وتشويقه للمتأخر، فإنّ (( هذا المعنى يُستفاد عندما يكون المتقدّم مشعراً بغرابة))[٣٤]؛ كون القضاء شيئاً غامضاً وبطبيعة الناس تتشوق لمعرفة الغموض، ولذلك قدّم في بداية البيت الدليل على القضاء ليتشوق السامع لمعرفة الدليل. وإن التراكيب النحوية المحمولة على التقديم والتأخير لها دلالات أعمق ممّا لو جاءت بلا هذا التحويل، فلو قال الشافعي: (يؤس اللّبيب من الدليل على القضاء) لكان أمراً لا يحمل عنصر التشويق, فالتعليل بالصيغة التي جاء بها الإمام أرقى في ترتيب التراكيب.

وجاء في قوله: **(( سلامٌ على الدُّنيا إذا لَمْ يَكُنْ بِها صديقٌ صدوقٌ صادقُ الوعدِ مُنصِفًا))**[٣٥]،استعمل الإمام حرف الجر (على) ليعلل ويوضح أهمية الصداقة الحقة في حياة الفرد ، بما فيها من صدق ووفاء ومودة وإخلاص وصفاء بين الأصدقاء ، مبيّناً أن حياة المرء بلا صديق صادق بوعده ومنصف فلا أهمية لهذه الحياة, ولا قيمة فيها مع أصدقاء يتصفون بالخداع والزيف والود المتكلف . كما جاء النفي هنا لتنبيه السامع وتحذيره على انتقاء صالح الأصدقاء بالمشاعر والأفعال ، وإن تكراره لكلمة صدق بمختلف صيّغها (صديق, صادق, صدوق) أحدث تناغماً موسيقياً جميلاً يطرب له القلب ومسامع الأذن، وما تحمله من معانٍ إيحائية في تجانسها الصوتي وتناسبها الجمالي في دلالاتها وانفعالاتها المتراسلة معها المتوجه للربط النسقي عند تكرار هذه المعاني تمثل مصدراً مهماً للبنى والمقاصد التي أولاها الشافعي عنايته في شعره ، وأضفى تقديم الإمام خبر كان شبه الجملة المتكونة من الجار والمجرور (بها) على اسمها (صديق) دلالة أفادت التخصيص الذي لا يتحقق عند ترتيبها العادي بلا تقديم وتأخير.

٥- **(عن ) :** ورد في قوله:

**((تعـاظمَـني ذنـبي فـلّما قَـرنـتـــهُ بعفوك ربي كان عفوك أعظما**
**فإنْ تعفُ عَنّي تَعفُ عن مُتمردٍ ظـلومٍ غَشُومٍ لا يُزايـلُ مَأثـما))**[٣٦]

جاء لإمام الشافعي بحرف الجر (عن) ليوضّح علة الحكم الذي حكمه على نفسه ، إذ أمتزج حرف الجر (عن) مع التراكيب النحوية ليعطينا نسقاً يوضّح عن طريقه الشافعي بأن الله إذا عفا عنه فقد عفا عن شخص متمرد، كثير الظلم ، مكلل بالمعاصي والآثام، فلا يكاد يترك معصية إلا وقع في غيرها, لولا رعاية الله وستره وحفضه، فاستعمل الإمام صيغ المبالغة (ظلوم وغشوم)

للدلالةِ على الكثرة ، وفي لحظة ضعف وتضرع إلى الباري عز وجل وإقراره بتعاظم تلك الذنوب، لكنه قارن عفو الله بذنوبه، فكان عفو الله أجلّ وأعظم ، ولهذا إزداد أمله في كرم الله وعفوه، ومع كثرة ظلمه لنفسه إلا أنه أتجه لله ليطلب العفو منه ، فعدد صفاته السلبية التي يتصف بها كما يرى نفسه ليعلل أنه ظالم ومتجبر وعنيد. إن علاقة الربط بحرف الجر (عن) التي جاءت للتعليل تعمل على اتساق البيت الشعري وترابطه مع تجسيد علاقات دلالية مترابطة .

٦- **حرف الفاء :** جاء بقوله:

**((أيا بُومَةُ قَدْ عَشَّشَتْ فوقَ هامتي  على الرّغْم مني حين طَارَ غُرابُها**

**رأَيْتِ خرابَ العُمرِ منِّي فَزِرْتِنِي  ومأْواكِ منْ كُلِّ الدِّيارِ ظَرابُها))**[٣٧]

انبثقت في هذا البيت الاستعارة التي استعملها الشافعي رحمه الله ليعلل من خلالها السبب في زيارة البومة له لذهاب شبابه وإحلال الشيب محله ، فصارت حياته مثل الديار الخربة الخاوية التي هجرها الأهل مذ سنين طويلة، واكتسحها الظلام والغربة والعتمة ، فجيء بالفاء السببية مع الفعل (زرتنني) لتعلل سرعة انتهاء الشباب الذي يتصارع بسرعته مع سرعة الزمن وتقلباته ، فقد نظم الشافعي هذه الأبيات ليعبر عن تجاربه في هذه الدنيا ومصير الإنسان إلى مرحلة الكهولة الغابرة ، فهو يترجم عما يختلج نفسه من أحاسيس وعواطف بكلمات متظافرة مع بعضها لتوفر نسق نحوي متناسق ومنسجم تركيبياً ولغوياً وبلاغياً وإيقاعياً اشتركت جمعيها لتشكل جمالية النص الشعري وما تحويه من معانٍ متمكنة دالة على حدّة تعبيره وقوة تجسيده لصورة الكهولة ، فقد ترك هذا النص أثراً على مَنْ يقرأهُ لتوافق ما مرَ به الشافعي رحمه الله مع كل البشر كونها حالة شاملة قدّرها الله علينا باستثناء من يموت بعمر أقصر . مما يثير الأحاسيس في النفس الإنسانية والتفكير في العمل الصالح قبل الوصول لهذه المرحلة .

**وقوله: (( ولا تجزعْ لِحادثةِ الليالي  فَما لِحَوادثِ الُدنيا بَقاءُ))**[٣٨]، جاء الإمام بفاء السببية التي توضح وتعلل عدم الجزع لحوادث أيام الدنيا ولياليها لأن هذه النوازل والحوادث ماثلة للزوال لا محال ، فخطاب الشافعي رحمه الله فيه نوع من الالتماس للمتلقي باليقين والتصديق بما يوائم هدوء الإمام وإيمانه بزوال حوادث وملمات الأيام وعدم دوامها، فهو استعمل لا الناهية مع الفعل المضارع (لا تجزع) لينهي عن حالة الجزع التي تعتري الفرد من شدائد الأيام، فهي دعوة إلى التفاؤل والاطمئنان بالثبات وسكون النفس وخضوعها لحكم الله وقضائه ، فقد تظافرت الفاء السببية مع اللام في (لحوادث) لإبراز الوظائف المختلفة التركيبية واللغوية للبيت الشعري التي أسهمت في إقناع المتلقي بعلل الشافعي الناتجة من قدرته الشعرية وإبداعه في اختيار الكلمات ونظمها وفق سياق نحوي متكامل ، والموافقة لانفعالاته وعواطفه مرتبطة بدلالاتٍ ومعانٍ راقيةٍ بإلزام المتلقي بالكف عن تتابعه تقلبات الدهر وتحولات صروف الأيام .

٧- **(حتّى) :** فقد أوردها الشافعي رحمه الله بقولهِ:

**(( لَمْ أجدُ لذة السلامة حتّى صرتُ للبيتِ والكتابِ جليساً ))**[٣٩]، جاء الشافعي بـ(حتّى) ليعلل إيجاد لذة السلامة في البعد عن الناس بما يتحمل بسببهم من المآثم والمعاصي ، لأنّ الفرد يتعرض للقال والقيل عند مجالسته الناس، وكذلك وقوعه بالفتن أكثر عند خروجه من بيتهِ، ولا يعني هذا بأنّ الشافعي رحمه الله يدعو لعدم الجلوس مع الناس ومخالطتهم ، أنما جاء ذلك من تجربته مع الناس بصالحهم وطالحهم وجاهلهم وعاقلهم, فضلاً عن أن مجالسة الكتاب لا تأتي إلاّ بالنفع وفتح أبواب الخير من المعرفة والعلم والثقافة ، فإبداعه في قدرته على نظم البيت الشعري في تقديم الجار والمجرور والمعطوف (للبيت والكتاب) على خبر صار (جليساً) إذ جعل سلامة الشخص محصورة في لزومه بيته ، ومجالسته الكتب ، ممّا زاد في قوة التعليل وتأثيره في الناس .

٨- **(في):** وجاء في قولهِ:

**(( وإن كثُرتْ عيوبكَ في البَرايا وسَرّك أنْ يكونَ لها غِطاءُ**
**تسترّ بالسخاء ، فكلَّ عيبٍ يُغطيه كما قِيلَ السخاءُ ))**[٤٠]

لجأ الشافعي رحمه الله في هذا البيت إلى استعمل حرف الجر ( في) وتظافره مع (برايا) ليعلل الأهمية الكبيرة للسخاء ودوره الكبير في ستر العيوب ودرئها عن عيون البرايا ، وأوضح الإمام أنّ أفضل طريقة لتغطية العيوب والخطايا عن أعين الناس هي العطاء والبذل ، فقد عطف جملة ( وسرك أنّ يكون لها غطاء) على جملة الشرط ( وإن كثرت عيوبك في البرايا) لتوسعة معنى الشرط بدل ما كانت جملة واحدة أصبحتا جملتين في جملة واحدة وهي المسمّاة جملة الشرط ، كذلك جواب الشرط فهو لا يكتمل في الجملة الأولى من البيت الثاني أي صدر البيت وإنّما كان جواب الشرط من الصدر والعجز أي مكون من الجملتين ، أي إنّ ستر العيوب مشروط بغطاء لها ، وهذا الغطاء هو الكرم والجود، فتعليل الإمام هو نصح للناس أن يكونوا ذا كرم إن أرادوا ستر عيوبهم .

٩- **لعل :** وردت بقول الشافعي رحمه الله:

**((أحبُّ الصالحينَ ولستُ مِنهُم لَعلّي أَنْ أَنالَ بِهِم شَفاعَه ))**[٤١] ، جاءت (لعلّ) هنا لتعليل حب الإمام الشافعي للصالحين، ففي الشطر الثاني من البيت قدم الشافعي رحمه الله (بهم) على ( شفاعة) أي قدم الجار والمجرور على المفعول به ؛ للتخصيص والتوكيد والتشويق ، فقد أخر المفعول به لتشويق السامع بمعرفة سبب حب الإمام للصالحين، وإنّ المفعول به المتأخر بَيَّنَ السبب في حب الإمام لهم في أنه بهم ينال الشفاعة ، أما تقديم الجار والمجرور أفاد التخصيص والتوكيد ، عن طريق هذا التقديم أراد توكيد حبه لهؤلاء الصالحين ، وأيضاً أفاد التخصيص في أنه لن ينال الشفاعة إلاّ بحبهِ لهم، تعلق هذا الترتيب الذي جاء به الشافعي رحمه الله بتماسك دلالي عن طريق العلاقات بين مجموعة أجزاء البيت من جهة ، ووحداته الوظيفية من جهة أخرى ، إذا ينبري البيت

الشعري ليعرض لنا صورة بنائية متماسكة من صور التعليل المتجلية في منظومة المفاهيم التي تشتمل عليها العلاقات الرابطة لتحصيل المعنى العام وبلوغ نتيجة التعليل.

**ثالثاً : أساليب أخرى :.**

**١- التعليل بالجمل الأسمية :.**

كما جاء في قوله: **(( قالوا سكتَّ وقد خُوصِمْتَ ؟ قُلتُ لهمْ إنّ الجــوابَ لبــابِ الشرّ مِفــتــاحُ**

**والصّمتُ عن جاهلٍ أو أحمق شرفُ وفيهَ أيضا لصونِ العرضِ إصلاحُ**

**أما ترى الأُسد تُخشَــى وهي صامِتة والكلبَ يُخــسَى لعُمْري وهو نبَّاحُ))**[٤٢]

استعمل الشافعي رحمه الله الجملة الأسمية المتكونة من (إنّ واسمها وخبرها) لتعليل وبيان سبب السكوت عن الجاهل في الخصومات لأن الكلام هو بابٌ للشر عند الخصومة ، ويؤكد تعليله في البيت الثاني على إن الصمتَ مطلوب عن الجاهل الذي لا يفقه عن واقعة النزاع شيء ، أو الأحمق الذي لا يرى ولا يسمع إلا رأيه هو فقط ، وما تحدثه نفسه ، فالصمت هنا كرامة وشرف ، وفي السكوت عن هؤلاء صون للعرض ، لأن لكل فعل ردت فعل ، أي لكل إساءة رد بالمِثل ، فيكون دور الصمت هنا صون للعرض ، فجاء الشافعي رحمه الله بدليل حجاجي من الواقع ما يؤكد رجاحة عقله في اختيار الصمت على إنّ الأسود يخافها الجميع وهي صامته لا تصدر أصواتاً ، بينما الكلاب تنبح وتصيح وهي خائفة ، فقد شبه تلك الأسود في صمتها وشجاعتها بأشخاص ذوي عقل راجح, فربط أنساق كلامه بطريقة الإقناع ،لأن ((احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع عن المعاندة فيه على طريقة أرباب الكلام))[٤٣]، والتي تفيد في وصول المعنى المراد من التعليل ممّا يستنبطه السامع من البنية العميقة للبيت الشعري ، وجاء بالكلمات (الأُسد، الكلاب) و (يُخشى، يُخسى) و( صمته ، نباح) ليزيد قوة التقابل مما يزيد في عدد العلاقات الدالة على زيادة المعاني المستوحاة من ترابط بنية الجمل في البيت الشعري، والتي تمتد للترابط مع دلالاته النحوية والصرفية والمعجمية, ليكوّن هذه المقطوعة الشعرية الرائعة .

وورد في قوله: **((لا يكنْ ظنُك إلاّ سيئاً إنّ سوءَ الظّنِ من أقوى الفطنْ))**[٤٤] ، علل الشافعي رحمه الله سوء الظن بالناس لأنه من حسن الفطن ، فجاء التعليل بالجملة الأسمية (إنّ سوءَ الظنّ من أقوى الفطن) ,((لقد أُمرنا أن نحسن الظن بالناس، فلنا ظاهرهم والله يتولى سرائرهن : ﴿إنّ بعضَ الظنّ أثم﴾ ، ولكن ماذا نفعل إذا كنا وسط جماعة من اللئام؟، ماذا نفعل إذا كان عدونا ينشر جواسيسه من حولنا؟ ، هل نحسن الظنّ ؟ هل نطلعه على أسرارنا ومواطن ضعفنا؟ ، .. إن سوء الظن عندئذ عصمة ! فكم تعرض الإنسان بسبب حسن ظنّه لكثير من مشكلات الحياة وعلى رأسهم الجوع والمخمصة ، وعلى المؤمن أن يكون حذراً يقضاً ؛ وفي جو الحيل، والخداع, والمكر، والألاعيب، حيث الرؤية السليمة للأشياء ينبغي أن يلبس المؤمن لكل حال لبوسها طالما

كان الجو من حوله ملبداً بغيوم الخداع والمكر، لكيلا يؤخذ على غِرّة ))[٤٥]، فضلاً عن إن الله سبحانه وتعالى قال إن بعض الظن أثم ولم يقل كل الظن، وعندما نصح بسوء الظن فلابد من التعليل الذي أورده في الشطر الثاني من البيت الشعري المكوّن من مجموعة من الكلمات المركبة المنتظمة في تتابع تركيبي مرتب تمثل بنسيجٍ بنائي متماسك للوحدات المتعالقة داخل ذلك الشطر, إذا لا يمكن معرفة سبب الطلب بسوء الظن في الشطر الأول من البيت إلا بالرجوع إلى الشطر الثاني، فشكل التعليل بذلك الوحدة الدلالة الضامة لمجموعة من العناصر الباطنية والظاهرية، وإنّ هذا التجاور بين الجملتين في الشطرين ينتهي إلى حقل دلالي واحد، بألفاظها التي تجعل الترابط العام للبيت الشعري وانسجامه واضحاً .

وقال الشافعي رحمه الله : ((**احفظْ لِشَيبِكَ مِن عيبٍ يُدَنّسُهُ إنَّ البياضَ قليلُ الحملِ للدنسِ**))[٤٦] ، جاءت الجملة الأسمية (إنّ البياض قليل الحمل للدنس) معللة للطلب بحفظ الشيب من العيب الذي يدنسه ، على أنّ تقدم العمر يجعل الإنسان حذراً دائماً من اقتراف المعاصي والذنوب، فهذه الدلالة التي تجلت في تراكيب الجملة قد وظّفها الإمام رحمه الله للتشبيه الضمني ليبين جمال صورته الشعرية ، إذ شبه حال مرتكب الذنوب وقد وصل سن الشيب بحال مدنس اللون الأبيض الذي لا يحتمل الدنس وإن كان صغيراً ، فهذا الشطر أتى بفيض من معانٍ دقيقة أسهمت في إظهار الصورة العامة وبلوغ نتيجة التعليل والكشف عن انسجام التراكيب وتماسكها، فقد صيغ هذا الشطر من البيت الشعري بجملة خبرية مؤكدة بمؤكد واحد هو (إنّ) لتقوية المعنى التعليلي وتعميقه ، وهذا التوكيد عمل على تأكيد مضمون الكلام وإزالة الشكوك لدى السامع .

وجاء قوله: ((**ولا ترجُ السّماحَةَ من بخيلٍ فما في النار للظّمآنِ ماءُ**))[٤٧] ، علل الشافعي رحمه الله نهيه من رجاء السماحة من البخيل الفاقد لصفات العفو بالجملة الأسمية ( ما في النار للظمآن ماء) مع الفاء السببية التي أسهمت مع الجملة الأسمية في تقوية التعليل، فالمصدر (ظمآن) من الصفات المشبهة بالفعل لأنه أشتق من فعلٍ ثلاثي وهو (ظمئ) فدلالته (على سبيل الحدوثِ والتجددِ) بوصفهِ للفاعل لأنّ الصفة (ظمآن) هي صفة غير ثابتهٍ وتزول عند الارتواء ، فهي تدل على ثبوت نصفي في الموصوف ، وجاءت دلالتها على الحرارة الباطنية في هذا السياق ، أي : تجرد الأنسان وخلوه من سجايا العفو والسماحة ، فشبهها الإمام رحمه الله بالنار التي لا يمكن للمرءِ أن يطلب الماء منها ، فهو يدعو للترفع عن الطلب من ذوي الصفات السلبية الذين فقدوا العلم والأخلاق ؛ فانتظمت التراكيب المكونة لجملة التعليل لتعطينا نسجاً رائعاً من التشويق والاختصاص، حيث تقدم شبه الجملة من الجار والمجرور وهو (للظمآن) على مبتدأه (ماءُ) لتشويق السامع ، كما أفاد تأخير المبتدأ (الماء) للتشويق والتخصيص، فمثل البخيل بالنار التي لا يرجو الظمآن منها الماء ، مثلها مثل البخيل الذي لا يرجوا منه الفرد خيراً ، لأن البخيل ليس أهلاً لهذه الأخلاق. إنّ ما جاء به الإمام الشافعي رحمه الله من ترتيب الأفكار لهذا البيت الشعري بتراكيبه النحوية ومعانيه العميقة؛ ليحقق (( فيهِ الانسجام والأنساق تعاقباً وترابطاً، وذلك يحتاج إلى ملكة

وقدرة وذكاء لمَّاح)) [٤٨] للزيادة في الكشف عن كنه التعليل ودلالاته المتوالية بتوظيفه اللغة عن طريق قدراته في بناء القواعد التركيبية لشد انتباه المتلقي.

**٢- التعليل بالجمل الفعلية :.**

جاء في قوله: **(( كما العليلُ السَقيمُ أَشغَلَهُ عَن وَجَعِ الناسِ كُلّهِم وَجَعُه)** [٤٩]

علل الشافعي رحمه الله انشغال السقيم عن وجع الناس كلّهم بالفاعل وهو (وجعه) ، فالفعل (أشغل) هو فعل ماضٍ أتصل بالضمير (الهاء) الذي وقع مفعول به مقدم ويعود على العليل أو السقيم ، بتقدير : ( أشغل الوجع العليل عن وجع الناس كلّهم) ، وقد تقدم الجار والمجرور مع المضاف إليه والتوكيد اللفظي (عن وجع الناس كلّهم) على فاعل أشغل وهو (وجعه) للفت الأنظار إلى ما ينتاب هذا العليل من عِظم الوجع فينسى وجع الناس كلّهم بعد ما خالفته صحته وقوته, فهذا البيت المشحون بعدد من المعاني والذي يحمل مجموعة من الدلالات التي أنتجتها تراكيبه المترتبة على نمط التقديم والتأخير المتفاعلة بتناسقها ومتانة نسجها لترسم صورة شعرية بمشاهد متنوعة ليعطي البيت الشعري معنى ثاني بكمال قدرة الله عزّ وجلّ وعجز الإنسان وانتفاء قدرته، فالله وحده الشافي المعافي وكما جاء في قوله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ {الشعراء:٨٠} ، فالوجع لا يدركه إلاّ من دخل معتركه فيظل السقيم أسيراً لحالة الضعف البشرية ، ويظل الوجع أسوء ما يمثل تلك الحالة ويظهرها, لينسيه وجعه أوجاع الناس كلهم. فهذه العلاقات بترتيب العناصر النحوية تعزز الوحدة لموضوعية للبيت الشعري، وإنّ توالي هذه التراكيب وتتابعها وفق نظام قصده الإمام الشافعي رحمه الله يكشف عن الهدف الذي سيق من أجله نظم هذا البيت ، فقد حققت عناصر الارتباط والانتظام والتناسق ضمن وحداتها قوة تعليلية واضحة .

وورد في قوله: **((دع الأيّامَ تَغدِرُ كُلَّ حِينٍ ولا يغني عن الموتِ الدواءُ))** [٥٠]

جاء الشافعي بتعليل كلامه في ترك الأيام تغدر بالجملة الفعلية (لا يغني عن الموت الدواء)، وهو تسليم لقدر الله عزّ وجلّ بصرفه للأمور بما شاء, لأنّ الدواء لا يرد الموت ، فقد تقدم الجار والمجرور (عن الموت) على الفاعل (الدواء) فهذا التقديم الجوازي جاء للعناية والاهتمام ، ويجوز أنْ تأتي الجملة حسب القواعد النحوية بترتيب (لا يغني الدواء عن الموت) إلاّ أنّه يعطي دلالة عدم نفع الدواء للموت وسائر الأمراض الأخرى ، لكن الأسلوب في نظم البيت الشعري الذي جاء به الإمام الشافعي رحمه الله فقد قصر عدم غناء الدواء على الموت فقط ، وقد يستفاد من الدواء باقي الأمراض. عمد الإمام ببناء التراكيب النحوية بصورتها هذه ليعرض فيها حلقة تواصلية التكاثف للدلالات المتسقة التي تتجلى في هذا البيت فأفاد مضمون ما بعدها على ما قبلها، فأنتظم بناء البيتِ في حلقة تدور حول مضمون قصد الشافعي، فكان (( نسجا واحدا أو بنية كلية ، لها قانونها الخاص من حيث وجود علاقات بين أجزاء النص، هذه العلاقات تتم في صور كثيرة ومتنوعة)) [٥١] لتحقق الاتساق بين أجزاء البيت ، فالترتيب بشكله هذا أبرز ما أتسمت به العلاقات بين عناصر الكلام والتراكيب لينتج صورة بالغة التكامل بدقة التعليل وعمقه.

## ❖ الخاتمـــــــــــة :.

بعد تلك الرحلة الممتعة في شعر الإمام الشافعي رحمه الله تجلى للباحث جملة من النتائج منها:

- إن تميز شعر الإمام الشافعي رحمه الله بظاهرة التعليل بيان لقوة فصاحته وإمكانياته التي يفيد منها في المسيرة الحياتية الدنيوية والآخروية ، فقد أتخذ التعليل وسيلة وصولاً لغايةٍ بكيفية استعماله للتراكيب النحوية لتحقيق درجات النجاح العليا في التأثير على المتلقي.
- تنوعت أساليب التعليل النحوية في شعر الإمام من المفعول لأجله والحروف والجمل، التي أخضعها لمقاصده ولم يحددها لزمن معين، وتناوبها تبعاً لمراد الإمام يعمل على شد الانتباه وقوة أدلته وقدرته على الإقناع ، فاحتلت الحروف الجزء الأكبر منه.
- وظّف الإمام الحروف ( اللام ، من ، الباء ، على ، عن، الفاء ، في ، حتى ، ولعل ) بما حملته من دلالات للكشف عن التعليل. ويُعد حرف اللام الأبرز في شعر الإمام رحمه الله ، إلا أن شعره أفتقر من الحرف (كي) .
- تضمن التعليل بالجمل: الجمل الأسمية والجمل الفعلية . والتي كشفت عن أحوال وصفات بعض البشر وكيفية تجنبهم بموعظته وحكمته وصياغته للتعليل بالجمل التي دفعته إلى ملئها بمعانٍ تُفهم دلالاتها من السياق الشعري .
- تُعد ظاهرة التعليل نوعاً من أنواع التوكيد بقوته وتأثيره على الناس على اختلاف عصورهم وأماكنهم، فطريقته في بيان العلل هو طريق للعقل والقلب ، إذ جمع بين الأغراض الدينية والأغراض النفسية ، فكان سبباً في القبول .

## ❖ الهوامش:.

١- أبن دريد، جمهرة اللغة : ١٥/١ , ٢١٦ ..
٢- أبن فارس، مقاييس اللغة: ١٢/٤.
٣- الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٧٣/٥ .
٤- الجرجاني، التعريفات: ١٥٤.
٥- أبو البقاء الكفوي، الكليات :٢٩٤/١.
٦- ظ: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب: ٤١٦ – ٤٧٧.
٧- الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو: ٦٤.
٨- حسن خميس الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي:٥٤-٥٥.
٩- سيبويه، الكتاب: ٣٦/١ .

١٠- ابن عقيل، شرح ابن عقيل:١/٥٢٠ -٥٢١.
١١- الشافعي، الديوان ، اعتنى به محمد إبراهيم : ١٥ ,
١٢- المصدر نفسه: ١٥ ,
١٣- الشافعي، أعتنى به عبد الرحمن المصطاوي : ٧٦.
١٤- المصدر نفسه: ٩٥
١٥- ط: عبد الهادي الشهري: ٤٧٩.
١٦- ظ: الزجاجي ، اللامات: ١٤٨.
١٧- ظ: المرادي، الجني الداني: ١٥٦.
١٨- ظ: الثعالبي، فقه اللغة : ٢٣٠
١٩- ظ: الزجاجي، اللامات : ١٥٠, و: ظ: الرماني النحوي، حروف المعاني: ٨٥.
٢٠- ظ: المبرد، المقتضب : ٢/٧.
٢١- الشافعي، أعتنى به محمد إبراهيم: ٣١,
٢٢- العامري، الإعلام بمناقب الإسلام: ٧٨-٧٩.
٢٣- الشافعي، أعتنى به محمد إبراهيم: ٧٨.
٢٤- المصدر نفسه: ٧٧.
٢٥- المصدر نفسه: ١٣١.
٢٦- المصدر نفسه: ١٥٣,
٢٧- الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي : ١١٥.
٢٨- المصدر نفسه: ٦٠
٢٩- ابن يعيش، شرح المفصل للزمخشري : ٤/٢٣٢.
٣٠- الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي: ١٢٩,
٣١- المصدر نفسه: ١٢٩.
٣٢- الشافعي، اعتنى به محمد إبراهيم : ١٥.
٣٣- المصدر نقسه: ١٠٦.
٣٤- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية : ١٤٩.
٣٥- الشافعي، اعتنى به محمد إبراهيم : ٩٨,
٣٦- المصدر نفسه: ١٣٥-١٣٦.
٣٧- المصدر نفسه: ١٦,

٣٨- المصدر نفسه: ١٠
٣٩- الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن مصطاوي: ٦٦
٤٠- الشافعي، اعتنى به محمد إبراهيم: ١٠.
٤١- المصدر نفسه: ٩٠
٤٢- الشافعي :٤٣,
٤٣- جمال حضري، المقاييس الاسلوبية في الدراسات القرآنية : ٢٧٤.
٤٤- الشافعي، اعتنى به محمد إبراهيم: ١٤٥
٤٥- المصدر نفسه: ١٤٤.
٤٦- لشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي: ٦٨
٤٧- المصدر نفسه:١٠.
٤٨- أحمد عبد الستار الجواري، نحو المعاني: ٩٤,
٤٩- الشافعي، اعتنى به محمد إبراهيم:٩٢,.
٥٠- الشافعي، اعتنى به محمد إبراهيم : ١٠
٥١- أحمد عفيفي ، نحو النص: ٩٧.

## ❖ المصـــــادر والمـــراجـــع:


- **القرآن الكريم.**
- أحمد عبد الستار الجواري، نحو المعاني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١ ، ٢٠٠٦م,
- أحمد عفيفي، نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط١، ٢٠٠١م.
- أبو البقاء الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت٦٨٤ه) ، الكليات ، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري, مؤسسة الرسالة ، بيروت، (ت. ط) ، ١٩٩٠ م .
- الثعالبي ، ابو منصور(ت ٤٣٠ه)، فقه اللغة وسر العربية ، تحقيق: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي ، ط٢، ١٣٩٢ه- ١٩٧٣م .
- الجرجاني (ت٨١٦هـــ)، التعريفات, تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت/ لبنان ، ١٤٠٣ه- ١٩٨٣م .

- جمال حضري، المقاييس الاسلوبية في الدراسات القرآنية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ط١، ١٤٣١ه- ٢٠١٠م.
- الجوهري، أبي نصر إسماعيل بن حماد (ت٣٩٨ه) ، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤, دار العلم للملايين/ بيروت، ١٤٠٧ه – ١٩٨٧م .
- حسن خميس سعيد الملخ، نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق والتوزيع، عمان, ط١، ٢٠٠٠م .
- ابن دريد، أبي بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت٣٢١ه)، جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي ,ط١ ، دار العلم للملاين/ بيروت ، ١٩٨٧م .
- الرماني النحوي، أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٣٨٤), معاني الحروف، تحقيق: د. عبد الفتاح شلبي، ط٢، دار الشرق، جدة، **١٤٠٤ه – ١٩٨٤م** .
- الزجاجي، أبو القاسم (ت٣٣٧ه)، ١- الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك ، دار النفائس، بيروت / لبنان، ط٣، ١٩٩٧ م .

٢ - اللامات ,،تحقيق: د. مازن مبارك ، دار الفكر ، دمشق، ط٢، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

- سيبويه(ت١٨٠ه) ، ابو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠هـ)، الكتاب، شرح وتحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط٣، ١٩٨٨م.
- الشافعي، محمد بن إدريس (ت٢٠٤ه)، ١- ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقديم : محمد إبراهيم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة/ مصر ، (د. ط) ، (د. ت) .

٢ – ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي, ط٥، دار المعرفة، بيروت / لبنان ، ١٤٢٩ه- ٢٠٠٨م .

- العامري, أبو الحسن(ت٥٨١ه)، الإعلام بمناقب الإسلام ، دراسة وتحقيق :أحمد عبد الحميد غراب, دار الكتاب العربي، القاهرة ، ط١، ١٣٨٧ه- ١٩٦٧م .
- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية (علم المعاني) ، دار السيرة للنشر والطباعة والتوزيع ، عمان/ الأردن، ط١، ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب- مقارنه لغوية تداولية ، دار الكتاب الجديد, بيرت/ لبنان، ط١، ٢٠٠٤م .
- ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله (ت٧٦٩هـ) ، شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الميزان، قم/ إيران، ط١، ١٤٢٧ه.

- ابن فارس، أبو الحسن أحمد القزويني (ت٣٩٥ه), مقاييس اللغة ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (د. ط)، دار الفكر، دون مكان النشر,١٣٩٩ه-١٩٧٩م .
- المبرد، أبو القياس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـــــ) ، المقتضـــب المجلس الأغلى للشـــؤون الإسلامية، القاهرة ، ط٢، ١٣٩٩ه- ١٩٧٩م .
- المرادي، الحسن بن قاسم بم عبد الله (ت ٧٤٩ه)، الجنى الداني في حروف المعاني, تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ه-١٩٨٣م.
- اين يعيش، موفق الدين (٦٤٣ه)، شرح المفصل للزمخشري ، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، (د. ط)، ١٤٢٢ه- ٢٠٠١م.